الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية

دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931-1950م.

الأستاذ/ عبد القـــادر خليفـــي

الرتبـــة/أستـــاذ مساعـــد (أ)

قســم التاريخ جامعة المسيـــلة.

مقدمـــــة /

مع التحولات الفكرية الملموسة التي ظهرت في الجزائر المستعمرة في مستهل القرن العشرين تفطن الجزائريون المتأثرون بالأفكار المتعلقة بالنهضة والمتداولة في محيطهم القريب تونس والمغرب وتلك الوافدة من المشرق العربي، بفعل آليات التواصل المختلفة من صحافة ومؤلفات وزيارات متبادلة إلى أهمية الحديث عن ماضي الأمة، وإعادة الاعتبار للتاريخ الوطني، الذي تعرض للتشويه الممنهج من قبل الاستعمار الفرنسي، الذي جنّد ترسانة ضخمة من المؤرخين والباحثين، الذين أوكلت لهم مهمة رئيسة تستهدف قطع صلة الجزائريين بحضارتهم، وجعلهم شعبا بلا هوية.

في ظل هذ الستار الحديدي الذي عزل الجزائريين، كان عليهم رفع التحدي والتصدي لكتابة تاريخ وطني أصيل يعكس عراقتهم، وامتدادهم الحضاري، ويؤكد وجودهم الذي لم تصنعه يد المحتلين، وقد انبرى لهذه الغاية النبيلة والمهمة الشاقة والمحفوفة بالمخاطر ثلة من الرواد كان في طليعتهم أحمد توفيق المدني.

فكيف فهم التاريخ ؟ وكيف وظّفه لغرس الفكرة الوطنية والتصدي للطروحات الكولونيالية؟ وماهي أصداء كتاباته تلك لدى معاصريه، وعند الأكاديميين الجزائريين اليوم؟

وتأتي هذه المحاولة العلمية منا للخوض في هذا الجانب الحيوي من رد الفعل الوطني، والذي نعتقد أنه ومهما حظي من دراسات، فإنها تبقى غير كافية لإماطة اللثام عن الجهود الجبارة التي بذلها هذا الرجل وغيره ولمعالجة الموضوع سطرنا العناصر الآتية:

- أضواء على الحياة الاجتماعية والمسار الفكري والنضالي للمدني.

- أهمية الكتابة التاريخية في مطلع القرن العشرين ومكانة المدني فيها.

- مفهوم المدني للتاريخ.

- نماذج من اسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية الوطنية.

أضواء على النشأة الاجتماعية والمسار الفكري والسياسي للمدني:

أحمد توفيق المدني، ولد في 16 جوان 1899م بتونس، وهو من أسرة جزائرية مهاجرة إليها بعد ثورة المقراني 1871م، انخرط مبكرا في الحياة السياسية التونسية إلى جانب معارضين من خريجي الزيتونة، تعرض للاعتقال والسجن في سن الفتوة، بين سنوات 1915-1918م، بسبب نشاطه في صلب لجنة الشبان الثوريين، وفي عام 1920م انشأ مع الأصدقاء الحزب الدستوري الحر، وأصبح من كوادره الرئيسة[1] .

بعد تنامي نشاطاته الصحافية والدعائية، أبعدته السلطات الفرنسية إلى الجزائر عام 1925م وبعد استقراره بها، سعى إلى إذكاء الوعي الوطني الجزائري، من خلال المحاضرات والخطب والمنشورات المتنوعة وكتب التاريخ والمشاركة في المبادرات السياسية، ويشير الباحث علي مرّاد إلى أن أعمال الرجل موسومة أكثر بالتاريخ والسياسة وليس بالإصلاح، وأنها تتميز بالثراء والتنوع قياسا إلى ما أنتجه باقي أقطاب الحركة الإصلاحية، بما يعكس ثقافته الواسعة وموهبته الأدبية المتميزة.[2]

وبالفعل فقد قدم المدني إسهامات كبيرة في الساحة الجزائرية، حيث كان حضوره لافتا في الميدان الصحفي خصوصا على مستوى جرائد جمعية العلماء الأساسية، الشهاب والبصائر، كما حرر في جرائد أخرى عديدة جزائرية وتونسية، وعن خط الكتابة الذي التزم به في أداء رسالته عبر الإعلام

---

[1]- علي مرّاد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940م ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص137.

[2]- المرجع نفسه، ص138.

المكتوب، فقد أشار إليه في الشهاب[3] (وإني لأعتبر نفسي مُجرمًا، إذا أنا عمَّرت بياض صحيفة بكلام لا يكون من ورائه أيُ نفع للشعب والبلاد)

ولقد لجأ في كثير من الأحيان إلى الكتابة بأسماء مستعارة، وهي حيلة كثيرا ما لجأ إليها الكتاب المحرومون من حرية التعبير إبان الحقبة الاستدمارية، ولعلَّ أشهر تلك الأسماء، المنصور، وأبو محمد، كما وقّع عديد المقالات في صحف مختلفة بأسماء، الخبير ونفريت[4].

نشط سنوات عديدة إلى جانب رموز الحركة الإصلاحية، وكان مقربا جدا من العلاّمة ابن باديس، الذي كان معجبا بحماسه في العمل، وتولى منصب الأمين العام لجمعية العلماء سنة 1951م وعشية اندلاع الثورة التحريرية التحق بوفدها الخارجي عام 1956م فأصبح ناطقا باسمه في القاهرة وقام بجولات كثيرة في بلدان المشرق والمغرب من أجل الدعاية للثورة، واختير عضوا في مجلسها الوطني المنبثق بعد مؤتمر الصومام، كما تقلد منصب وزير الثقافة في أول حكومة مؤقتة للجزائر بين سنتي 1958م–1960م[5].

واصل نشاطه الدؤوب في مرحلة الاستقلال، حيث قاد وزارة الأوقاف في عهد الرئيس أحمد بن بلة، وتمكن من افتتاح 17 معهدا للتعليم الأصلي،لعبت دورا لا يستهان به في مواجهة الموجة التغريبية التي تزعمها التيار الفرانكفوني[6]، وعين سفيرا في الباكستان والعراق وإيران وتركيا، وفي هذه الأخيرة استثمر علاقاته الممتازة في جلب أكثر من ثلاثة آلاف وثيقة تاريخية خاصة بالعهد العثماني، وضعت للاستغلال تحت تصرف الباحثين والأكاديميين بالمركز الوطني للدراسات التاريخية حيث أسندت للرجل مهمة استشارية هناك في العقد الأخير من حياته[7].

---

[3]– أحمد توفيق المدني،"كلمة أخيرة "، الشهاب ، العدد 100، 09 جوان، 1927، ص8.

[4]– عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة،2007م، ص95.

[5]– عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص ص303–304.

[6]– أحمد توفيق المدني،" الإسلام سلاحنا في المعركة"، مجلة المعرفة، العدد13، الجزائر،جويلية 1964م، ص114.

[7]– فاطمة تازير، فضيلة نكور،"أحمد توفيق المدني 1899–1983"، مجلة التاريخ، العدد 18، الجزائر، النصف الأول من سنة 1985، ص 08.

في نهاية السبعينيات من القرن الماضي،وعقب إصداره لمذكراته المسماة حياة كفاح ولاسيما الجزء الثاني منها،الذي يغطي بالمعالجة الفترة الممتدة بين سنوات 1925–1954م والذي تحدث فيه عن إسهاماته في الحركة الإصلاحية، ونضاله السياسي الوطني، تعرض لحملة نقدية جارحة شنّها ضده بعض تلامذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي مقدمتهم محمد الطاهر فضلاء، الذي ردّ عليه بتأليف مضاد اختار له عنوانا صادما هو التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح[8].

ترك المدني الذي وافته المنية في 18 أكتوبر1983م، تراثا ضخما يعكس الجهود الكبيرة التي بذلها الرجل على امتداد سبعين عاما من العطاء الفكري، وحسبنا هنا أن نشير إلى أهمها وهي: كتاب الجزائر، ومحمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791م وجغرافية القطر الجزائري، والمسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا، وهذه هي الجزائر وحرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792م، وحياة كفاح في ثلاثة أجزاء ورد أديب على حملة أكاذيب[9].

على الصعيد الإنساني مثل المدني نموذجا متميزا في سعة الأفق الفكري، وروح الانفتاح على الآخرين، ويشهد له معاصروه بالنزاهة وعدم التورط في الصراعات التي وقعت بين النخب الوطنية في مرحلتي الثورة وعهد الدولة المستقلة.

أهمية الكتابة التاريخية في مطلع القرن العشرين ومكانة المدني فيها:

لقد بدأ مفهوم التاريخ يتطور مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ومع الوعي الوطني والسياسي والبحث عن ماضي الجزائر تعبيرا عن رفض الاندماج، وتغييب الذاكرة الجماعية، وهو التغييب الذي فرضه الفرنسيون عن طريق تعليم تاريخهم فقط وقطع الصلة بين الجزائريين وتاريخهم، وقد ظهر المفهوم السياسي للتاريخ ربما لأول مرة على يد حركة الأمير خالد، فقد استشهد في خطبه وعرائضه بتاريخ جده وبكفاح الجزائريين خلال القرن التاسع عشر، فانتشرت فكرة الربط بين التاريخ والوطنية[10].

---

[8]– عن تفاصيل هذه الحملة وتطوراتها وخلفياتها ينظر : عبد القادر خليفي، المرجع السابق ، ص ص234–251.

[9]– أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954، ج7، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص ص420–421.

[10]– المرجع نفسه، ص ص302–304.

وكان على الجزائريين محو الجمود الثقافي، وتكسير الستار الحديدي الذي كبل بلادهم حسيا ومعنويا، وجعلها بمعزل عن امتداداتها الحضارية العربية الإسلامية، وهو الرهان الاستعماري الذي لقي بعضا من النجاح، حينما ساد الاعتقاد في صحة دعاياته المروجة لدى الرأي العام الأجنبي وعند عدد من الأشقاء.[11]

لا شك أن حدث المئوية(1930م) كان عاملا حاسما في بعث تاريخ وطني جزائري، غير انه يجب الاعتداد أيضا بعامل آخر، ويتعلق الأمر بالأمثلة التي قدمتها في هذا المجال تونس والمغرب والتي حرّكت الجزائريين وحثتهم على أن يبلوروا هم أيضا دراسات تاريخية باللغة العربية وفق منظور وطني، وفي هذا الباب برزت في تونس أعمال حسن حسني عبد الوهاب (خلاصة تاريخ تونس، الذي أعيد طبعه سنة 1925م) وعثمان الكعاك (موجز التاريخ العام للجزائر، الذي طبع سنة 1925م)، أما في المغرب فلدينا العمل الهام الذي أنجزه عبد الرحمن بن زيدان (اتحاف أعلام الناس الذي صدر في ثلاثة أجزاء سنوات 1929–1931م) [12].

وفي هذا الحراك التاريخي المغاربي، صعد المدني والذي كان نتاج حركة التاريخ في تونس حيث انبرى متصديا للكتابة التاريخية في فترة حرجة جدا من تاريخنا الوطني فمنذ عام 1925م نشط الرجل في إخراج كثير من البواكير التاريخية المختلفة.

ظهر المدني في كتاباته مؤلفا طويل النفس، فقد سعى للبحث في كثير من المواضيع التاريخية المتفرقة، لكنه أولى عناية خاصة للدراسات التي تتصل بالجزائر، وهو أمر منطقي، إذ أنه كان من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يركزوا اهتمامهم على التاريخ الإنساني العام، في وقت كان فيه تاريخهم نفسه بحاجة إلى البعث والإحياء لاسيما وأنَّ تاريخ الجزائر كُتب في أغلب الأحوال من وجهة نظر واحدة وهي استعمارية بحتة بلا ريب، حين كلّف المستشرقون وغير المستشرقين، من الفرنسيين وغيرهم، بكتابة هذا التاريخ ، لذلك فلا أحد أجدر من أبنائها للقيام بهذا الدور الحيوي[13].

---

[11]– عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص55.

[12]– علي مرّاد، المرجع السابق، ص141.

[13]– عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954، النهضة الفكرية – النهضة الصحفية والأدبية – النهضة التاريخية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983، ص ص207 – 208.

ويصف الباحث عبد الكريم بوصفصاف المؤرخ المدني بالقول[14]:(لعل المؤرخ الجزائري الوحيد الذي جمع بين الذاتية الجزائرية، والإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية هو أحمد توفيق المدني، كاتب القطرين، وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين، الذين بدءوا يبحثون في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ومعاصرا في العشرينيات من القرن الماضي).

واعترافا بدوره الهام، كتب أحد الدارسين منوها يقول[15]:(يجب أن يُعِده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين، الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة، فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية، التي تتصل بالشعب الجزائري منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925م...إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم).

ويستشف من رصد أعماله الفكرية، أنَّه كان متنوع النشاط بين كثير من الأعمال الأدبية، ولو تخصص للتاريخ وحده، لكان أبرز المؤرخين الجزائريين، لإلمامه باللغة الفرنسية إلماما حسنا، ولنشاطه وحيويته وحماسه، وهذا الانشغال المتعدد الوجوه، لم يكن حسب العديد من الدارسين، صفة لازمت المدني وحده، بل كانت سمة عامة طبعت النهضة الثقافية في تلك المرحلة، فالرجل إذن كان انعكاسا لتيار هذه الظاهرة[16].

ويذهب الباحثان عبد الكريم بوصفصاف، وعبد المالك مرتاض إلى أنَّ الكتابات التاريخية للمدني، قد كانت تلقى نجاحا ملحوظا، غير أنَّ أعماله لم تخل من بعض الهنات كسائر الأعمال الكبرى وكانت هذه المآخذ خاصة في تعليل الأحداث وتحليلها، رغم أنها مسألة نسبية، حيث يتفق رأي الرجلين في أنَّ المدني كان ذا نزعة دينية في معالجة الوقائع التاريخية، شأنه شأن جميع رفقائه في النهضة[17] وهو ما وقفنا عليه من خلال مطالعتنا ودراستنا لأغلب مؤلفاته.

---

[14]–عبد الكريم بوصفصاف،"المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الاحتلال والاستقلال"، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغـــرب العربي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر1998، ص46.

[15]– عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص219.

[16]– المرجع نفسه، ص211.

[17]– عبد الكريم بوصفصاف، المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة التاريخية في الحركة الوطنية في عهدي الاحتلال والاستقلال، المرجع السابق، ص47. وأنظر: عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص ص 211–212.

المدني ومفهوم التاريخ:

لقد عرَّف أحمد توفيق المدني التاريخ قائلا[18]:(التاريخ في نظري عرض وتحليل وتعليل وحكم فالمؤرخ الحق، إنما هو حاكم نزيه، حر الضمير، يدرس الوثائق والمستندات، ويستخرج الحقائق من بين النصوص، ويستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء، ثم ينظر الملابسات ويدرس المحيط فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا، أصدر حكمه عادلا،لا عاطفة، ولا رياء، ولا محاباة).

ودعا المؤرخ إلى التزام الموضوعية في المعالجة، وأن تكون كتاباته تعبيرا صادقا عن أحاسيسه المبنية على الإيمان، والاقتناع بسير الأحداث، وإلا عُدَّ من رواة القصص، لا من المؤرخين[19] ولقد أخرج الرجل مؤلفات قيّمة ، فتحت آفاقا عريضة وواسعة، شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي[20].

وقد أظهر المدني اهتمامه وانفتاحه على تاريخ المنطقة المغاربية، وتاريخ العالم العربي الإسلامي ككل، فلم يكن متمسكا بالتأريخ للقطرية، حيث نجده في كتابه المسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا، الذي صدر عام 1946م، يدعوا إلى تنشيط حركة الكتابة حول المدنية الإسلامية بهذه الجزيرة لإبراز الحضارة الإسلامية، وإعطاء وجه مشرق للتواجد العربي بالمنطقة، معتبرا ما أنجزه مقدمة لهذا العمل، ودفعا للباحثين إلى ولوج هذا العالم وفي ذلك يقول[21]:(أقول بكل صراحة،أنَّ كتابي هذا لا يجب أن يُعتبر إلا تمهيدا لدراسة تاريخ المسلمين في صقلية... وإن كنت قد أدليت خلال هذه الدراسة التاريخية ببعض الآراء والأفكار، فما أنا بمقدمها إلا لكي تعرض على مجال البحث والمناظرة...وإنني ما أقدمت على وضع كتابي هذا وعرضه على الناقدين، إلا لكي أستفز منهم المشاعر...فيتداركون النقص، ويأتون بفصل الخطاب)

---

[18]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، بلا تاريخ، ص08.

– أنظر أيضا : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7 ، ص ص 308 – 309.

[19]– أحمد توفيق المدني، المصدر نسه، ص08.

[20]– الجيلالي صاري، محفوظ قدّاش، الجزائر في التاريخ : المقاومة السياسية 1900 – 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص244.

[21]– أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985 ص07.

وقد أردنا في هذه الالتفاتة العلمية، إلقاء الأضواء على بعض من أسفاره، التي كان لها الصدى الطيب، والتقدير والتنويه من لدن كثيرا من المفكرين والمصلحين المعاصرين لصدورها، وأيضا من قبل العديد من الباحثين الجزائريين المهتمين بهذا الحقل الاستراتيجي في عهد الدولة الوطنية المستقلة، وهي: كتاب الجزائر، ومحمد عثمان باشا داي الجزائر، وجغرافية القطر الجزائري، ومسرحية حنبعل، وهذا حسب تسلسلها الزمني.

نماذج من إسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية الوطنية:

1 / كتاب الجزائر: بين المرامي التثقيفية والأبعاد الوطنية : ظهر في ظرف متميز عام 1931م حيث جاء ردًا على الاحتفالات المئوية الفرنسية الجارحة، فكان معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ، وقد ألّفه صاحبه بهدف سياسي وطني كما أشار إلى ذلك جوزيف ديبارمي[22]، وقد احتفت وأشادت به كثيرا صحيفة الشهاب[23].

وتلقى مؤلفه عشرات رسائل التهنئة والتقدير، وقد أشاد بمحتواه مفكرون ومؤرخون كبار وتناولته بالكتابة والتقريظ عدة مجلات كمجلة المجمع العلمي العربي[24] والقبس، والأهرام، ومجلة البحوث الإسبانية[25] ،ومن الذين رجعوا إليه ونوهوا به الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي[26].

---

[22] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954، ج7، المرجع السابق، ص 422.

[23]– عبد الحميد بن باديس،"كتاب الجزائر كذلك و بمثل ذلك يؤدى الواجب أيها الجزائري الناشئ "، الشهاب، ج3، م8 مارس 1932، ص160، حيث كتب العلاّمة عبد الحميد بن باديس يقول: (الخدمات التي يجب تقديمها للبلاد في مثل هذا الظرف، هي نظير ما اختطه المدني، مما يجعل الشباب عارفين لوطنهم...فاكتشاف كل ما كان للوطن من عز، هو عمل مثمر... فالذي يحمل كل فكرة وطنية،لا يصدق فيما يقول، إلا إذا خدم الوطن من الناحية التي خدمها المدني).

[24]– جاء في تقريظها:(من أمتع الكتب التي نشرت بالجزائر على عهدها الأخير جاء بأسلوب عصري بديع...هذا السفر النفيس، كتبه مؤلفه بأسلوب رشيق وعبارة منسجمة، فرسم لنا صورة الجزائر طبق الأصل، بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذلك القطر، وتقويم أرضه وعادات أهله...وقصارى القول أنَّ كتاب الجزائر من الكتب الخالدة المفيدة، فيه روح الشباب والتجدد، ولا تصح أن تخلو منه خزانة كتب شرقية).ينظر: محمد قنانش المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ، ص114.

[25]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ص207.

[26] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج7، المرجع السابق، ص422.

والحق أنَّ مؤلفه قد رفع شعارات الهوية الوطنية خفاقة، بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية " الإسلام ديننا ، العربية لغتنا، الجزائر وطننا "، وعالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري، من المثقفين بالفرنسية،الذين انجذب بعضهم نحو التاريخ الدخيل، ونظرائهم من المثقفين بالعربية الذين وجدوا أنفسهم وسط حلقة مفقودة[27].

ويقول الباحث محمد قنانش[28] (كلما رجعت إلى مقدمته أجدها شعلة من الوطنية تتّقد حماسة وتفيض إحساسا وشعورا، وأطوي الكتاب، فتطل علي من الغلاف تلك الجمل الثلاث، التي أصبحت شعارا للوطنية، فلا ألبث أرددها معه).

ويرى المؤرخ أبي القاسم سعد الله أنَّ كتاب الجزائر يشبه إلى حد كبير كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة، وقد ظهر المؤلف في ما قدّمه، وأنه من دعاة التجديد حين تحدث عن قضايا المجتمع كالتعليم، والصحافة، والمرأة، والشباب، ودعا إلى تكوين المدارس، والتخرج في مختلف المهن، وانتقد المدارس الثلاث الرسمية لتقاعسها[29].

أما المدني فقد وصف عمله بالقول[30]:(هذا كتاب الجزائر...وانه لصورة حقيقية لقطر الجزائر السعيد، لم ترسمها ريشة مصور يتعمد التحسين أو التشويه، إنما رسمها قلم باحث جعل همَّه ذكر الحقائق كما هي).

ويخلص أحد الباحثين في تقييمه، إلى التأكيد على أن الكتاب يشكّل إحدى المساهمات الأساسية في المسعى الرامي إلى الإحياء الوطني، الذي شرعت فيه الحركة الإصلاحية إلى جانب انتاجات بعض الأقلام من ذوي النزعة العلمانية، وأنه أي الكتاب، قد كرّس إذن ونهائيا شهرة المدني، وأظهره كأحسن وأفضل أمل للحركة الإصلاحية الجزائرية[31].

---

[27]– صالح خرفي، "الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث"، الثقافة، العدد01، الجزائر، مارس 1971، ص53.

[28]– محمد قنانش، المواقف السياسية بين الإصلاح و الوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ، ص ص113 – 114.

[29]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830–1954،ج7، المرجع السابق، ص ص422 – 423.

[30]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، نشر دار الكتاب، البليدة، الجزائر،1963، ص373.

[31]– علي مرّاد، المرجع السابق، ص138.

ولعلَّ القيمة التاريخية والحضارية والتجديدية للكتاب، هي التي جعلت الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم يقول[32]:(لو لم يكن للأستاذ أحمد توفيق المدني إلا هذا الكتاب لكفاه فخرًا).

يتوزع الكتاب على أربعة عشر قسما، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مواضيع، هي التاريخ والجغرافيا والحالة الراهنة (1930م).

أما التاريخ فيضم الأقسام من الأول إلى السادس، وهي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930م ، ورافقها ذكر التاريخ العلمي والأدبي، وقدم خلاصة عن العنصر البربري من حيث أصوله، وعوائده، ونظمه، وقبائله، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية علاوة على التعرض للعناصر الأخرى المشكلة لسكان الجزائر.

وفيما يتعلق بأقسام الجغرافيا، فتضم السابع والثامن، بحيث قدم بطاقة تعريف للطبيعة الجزائرية من حيث الموقع، والحدود، والمساحة، والمظاهر الطبيعية، وأعقبها بعرض للناحية الإدارية، وإحصاء السكان، مرفقة بترجمة لاثنتين وسبعين(72) مدينة من أمهات المدن بالقطر الجزائري.

في حين خصص الأقسام المتبقية، وهي من التاسع إلى الرابع عشر، للوضعية السياسية والقضائية والتعليمية، والحالة الاقتصادية العامة.

جاء الكتاب يحمل توجيهات، ويتضمن رسائل في غاية الأهمية، عند وضعها في سياقها الزمني من حيث مدلولاتها الأيديولوجية، وما ترمي إليه من أغراض تشع بالوطنية فقد احتوت مقدمة الكتاب دعوة صريحة للشباب للاهتمام بتاريخ وطنهم، حين أوضح صاحبه، أن هذه الشريحة التي كانت تتجاذبها التيارات يمينا وشمالا وقتئذ، حتى صارت تبدوا وكأنها تعيش في ديار غير ديارها، أو خلقت على أرض مبتورة الأصل، ليخلص إلى أن هذا العزوف الظاهري عن الانشغال بهموم البلاد، إنما مرده انعدام الوسيلة ألا وهي الكتاب باللسان العربي، لذلك ركز توجيهه نحو هذه الفئة، التي تمثل حسبه مركز

---

[32]– محمد الطاهر عدواني،" كلمة التأبين بمناسبة الأربعين"، مجلة التاريخ، العدد 18، الجزائر، النصف الأول من سنة 1985، ص169.

الحركة والشعور والإحساس في جسد الأمة، فخاطبها قائلا[33] (أيها الشبان البررة، وعلى أعمالكم يعتمد هذا الوطن، كي يبني صرح مجده عاليا، ويتبوأ مقعده بين الأمم العربية الناهضة)

وأهاب بهذه الطاقة الحيوية في المجتمع، ضرورة مطالعة الكتاب، والتي حتما ستزيدهم حبا لوطنهم، مذكرا الجميع في لفتة ذكية، سرّب خلالها الأفكار التي يتوق إيصالها، حين ألحّ على أن الجزائر، لن تسعد إلا إذا عملت في دائرة دينها ولغتها وقوميتها موجها نداء بغرض التصدي لسياسة التجنيس ونبذ تلك الفكرة الغريبة، داعيا إلى المحافظة على الخصوصية الدينية واللغوية وترقيتهما وإعمال العقل، والابتعاد عن الجهل والشعوذة والبدع، والاتكال على الإمكانات المحلية، لتحقيق التطور المرغوب ضن الدائرة الحضارية الطبيعية، وبلغة الواثق من أمته، أكد أن الأمة الجزائرية سريعة الاهتداء، إذا وجدت من يهديها، وآنست فيه الإخلاص والثبات، وتكاد تكون فقرته الأخيرة من خاتمة كتابه صرخة مدوية لإعلان الجهاد، عندما خاطب الجزائري[34] (هذه الجزائر الإسلامية بين يديك وأنت سليل الأبطال وفي عروقك يجري دم عظماء الرجال، فارفع جزائرك عالية...و إذا ما هتف الناس بحياة أوطانهم، فلترفع الرأس...ولتهتف لتحيا الجزائر الخالدة).

إن كتاب الجزائر عظيم، لأهميته لدارس الحياة العامة في الجزائر، لأنَّ المؤلف عرض فيه لأول مرة تاريخ الجزائر وواقعها على حسب وجهة النظر الجزائرية العربية الإسلامية، مبديًا بشجاعة موقفه من الأوضاع السائدة، ملتزما قدرا كبيرا من الموضوعية
والدقة في تصوير الواقع، وقد استفاد من إتقانه للغة المحتل، ومن اطلاعه على القوانين الفرنسية المُطبقة، والإحصاءات المُسجلة، فالكاتب مزج إذن وبطريقة رائعة بين التاريخ والوطنية والحضارة، مما كان له علاقة بحياة الجزائريين واهتماماتهم في تلك الفترة الحرجة.

---

[33]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص05.

[34]– المصدر نفسه، ص ص 374–375.

2 / محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766م– 1791م: صورة الوجود العثماني بالجزائر في مواجهة جرائم التمدين الأوربي المروّجة:

صدر الكتاب سنة 1937م، وهو عن حياة أطول الدايات حكما، ويقع في 191 صفحة وكان الهدف من تأليفه، إماطة اللثام عن حقيقة الوجود العثماني بالجزائر، وتكذيب الخرافات التي اصطنعها الاستعمار من أجل تشويه ذلك الوجود[35]

والمعروف أنَّ المدرسة التاريخية الفرنسية ، قد شنت حملة واسعة لتبرير التواجد الاستعماري بإلصاق الأحكام المزيفة عن ذلك العهد، وتصويره بالتخلف الحضاري واللصوصية [36]، وقد تضمنت مقدمة الكتاب، إهداءً أفرده المؤلف للشيخ عبد الحميد بن باديس، مما جاء فيه[37] (إلى الرجل الذي أيقظ أمة، وأنشأ جيلا، وربط بين ماضي الوطن وحاضره ،وهيأ له مستقبله في ميدان العلم والشرف، فكان شخصه الكريم، نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة، والجزائر الحاضرة المجاهدة، والجزائر المقبلة الخالدة).

اشتمل الكتاب على مقدمة، وهي تمهيد لدراسة التاريخ التركي في القطر الجزائري وأربعة أقسام، عرض في القسم الأول منها، خلاصة عن الولاة والحوادث في العصر التركي بين أعوام 1515م و 1830م.

و خصص القسم الثاني، وهو أهم جزء، للحديث عن سيرة محمد عثمان باشا، وتوليه الحكم ونظام الدولة والحياة العامة في عهده، وعلاقاته الخارجية.

أما القسم الثالث، فنقل إلينا من خلاله، أهم ما كتب بدفتر التشريفات، وهو السجل الرسمي الحكومي، الذي كانت الإدارة التركية بالجزائر، ترسّم فيه أعمالها ومذكراتها العامة، وعالج في القسم

---

[35]– أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754 – 1830، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1980، ص07.

[36]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،1984، ص37.

[37]– أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986 ص05.

الأخير، مقتطفات من مذكرات المستشرق الفرنسي"فونتير دي باردي" والمتعلقة بعصر عثمان باشا، وقد دعَّم المؤلف الكتاب بعشرين صورة متنوعة[38].

عرض المؤلف في التمهيد صورة عن محتوى الكتابات التي عنيت بالحقبة العثمانية في الجزائر ولا سيما تلك الدراسات التي نشرها المؤرخون الأوربيون، في ظل ندرة المصادر العربية، لما لحق بها من مصادرة وتدمير ممنهج على يد المحتلين، حيث انفرد هؤلاء بتصويرها بطريقة متحيزة، بل مغرضة، حتى أنه يخيل إليك أن القطر الجزائري أثناءها، لم يكن سوى مغارة من مغاور السفاكين، وملجأ يركن إليه السفاحون من لصوص البحر والبر، ومرتعا للمظالم وانتهاك الحرمات، بينما كان غيره من بقاع العالم يعيش في بحبوحة الأمن، ويسبح في بحار الحرية والعدل[39]

ويذهب المدني إلى أن تصديه للإجحاف الذي طال عصر الحكم العثماني، ليس معناه امتداح مطلق لهذه الحقبة، أو محاولة لإكسابها وجها مشرقا بلا سند، حيث يقول(إننا حين نقول إن عصر الحكم العثماني قد ظلم، لا نريد بذلك أن نقول انه كان خير حكم بها، ولا نريد أن نقول انه كان عصر مدنية ورفاهية يفوق في ذلك أو يضاهي عصورا أخرى، كلا فهيهات لعصر الحكم التركي أن يقارب من حيث ازدهار المدنية، وإيناع أسواق العلم والأدب، شأو العصر الرستمي، أو الحمادي، أو العصر الزياني).[40]

وفي وقفة مدروسة، قام يعقد مقارنة بين وضع الشعوب الأوربية إبان القرون الممتدة من الخامس عشر إلى الثامن عشر، وما قاسته من ويلات وعرفته من محن، بما هو سائد بالجزائر في نفس الفترة انتهى خلالها إلى أن وضعية الشعب الجزائري لا تقارن إطلاقا معها، ليصل إلى بيت القصيد، عندما ذكر بان أعمال القمع التركية لا تعد شيئا مذكورا إذا قسناها بأعمال الزجر والقسوة التي ارتكبها الفرنسيون أنفسهم، عندما دوخوا ارض الجزائر وحطموا المقاومة الشعبية بها باسم التمدين الأوربي.[41]

وفي سياق معالجته للجرائم التي ارتكبها الأوربيون عموما، والفرنسيون على وجه الخصوص نعتقد أنه كان سباقا، بل ربما مثل أول المؤرخين والباحثين الجزائريين الذين ألقوا الأضواء على ما

---

[38]– أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791، (عرض الباحث).

[39]– المصدر نفسه، ص07.

[40]– المصدر نفسه، ص08.

[41]– المصدر نفسه، ص09 وما بعدها.

يعرف اليوم بجرائم الإبادة الجماعية، عندما ضمن كتابه هذا الحديث عن ما فعله قادة الجيش الفرنسي في حق آلاف الجزائريين، كجرائم دوروفيقو عام 1832م، وجرائم سانت أرنو عام 1842م، وجرائم الجنرال بيجو سنة 1843م، الذي أحرق قبيلة أولاد ضياء في الكهوف التي التجأت إليها، وهي لعمري شجاعة كبيرة من المؤلف الذي قفز فوق كل المحظورات ووجه سهاما قاتلة للمستعمر، عبر فتح جراح هذه القضية الحساسة، لما يمكن أن يكون لها من إثارة للوجدان الوطني، في وقت كانت تشهد فيه الجزائر رواج الحديث عن التعايش بين الشعبين، والأمل في الإصلاحات الفرنسية[42].

وبعد صدور الكتاب أقرظه الإمام عبد الحميد بن باديس، وأثنى على مؤلفه في ركن ثمار العقول والمطابع بمجلة الشهاب[43] ، ودعا ابن باديس الشباب المسلم إلى مطالعته قائلا[44]:(إنه يتحتم على كل مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب، و إنك – إذا ختمته أيها المسلم الجزائري – لا بد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب، وتبغض من يجب أن تبغض)، وفي اعتقادنا أن ابن باديس، قد فهم وتفاعل مع الأبعاد التي كان يرومها المدني من وراء هذه الدراسة، فقد ربطها بشكل مباشر بالفكرة الوطنية، ومسألة الاعتزاز بالانتماء الحضاري.

ومن جهته نوه الباحث محمد قنانش بهذا الإنتاج العلمي، معتقدا بأن كاتب القطرين قد وفق إلى حد بعيد في عرض صورة ناصعة عن عهد الأتراك، وتمكن من تفنيد جميع التهم الواهية التي ألصقت بهذه الفترة من تاريخ الجزائر، والتي طالما شوهها المغرضون وصوروها بكيفية لا تتلاءم إلا مع العصور الوسطى في أوربا[45].

---

[42]– أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791،المصدر السابق، ص ص18–19.

[43]– عبد الحميد بن باديس،" محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791"، الشهاب، ج7 ، م13، سبتمبر1937 ص356، حيث كتب : (هذا اسم السفر الجليل، الذي ألفه الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني، لخص فيه تاريخ الجزائر التركي، وبيَّن حالتها الاجتماعية والأدبية والسياسية بأسلوب بديع، جمع الفصاحة والتناسق، وعرض للتاريخ بين دلائل العلم، ومباهج الفن وبروح إسلامية، لا تعرف إلا الصدق، عربية لا تفارقها العزة والشهامة، وإذا كان الوطن هو تاريخ الوطن...و لا حياة لأمة، إلا بإحياء ماضيها...فالأخ الأستاذ المدني بكتابه هذا، لم يكن كاتبا بليغا، ومؤلفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا، وأحيوا أمما)

[44]– المصدر نفسه، ص358.

[45]– محمد قنانش، المرجع السابق، ص115.

وباختصار، فإن الرجل، قد استطاع أن يقدم دراسة هامة، حاول خلالها أن يتصف بقدر من الموضوعية في معالجة مسألة الوجود التركي بالجزائر، وأن يتصدى بحزم قلَّ نظيره للطروحات الغربية المناهضة له، وتزداد أهمية العمل قيمة، خاصة إذا علم المرء الظروف الصعبة المصاحبة لصدوره، تحت السيطرة الاستعمارية القائمة على تكميم الأفواه.

- 3 / جغرافية القطر الجزائري : الوطنية لصيقة بالتراب :

طبع بالجزائر سنة 1948م، وهو أوَّل كتاب من نوعه بالعربية، موجه إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين، سد هذا المؤلَف فراغا كبيرًا، وربط فيه بين التاريخ والجغرافيا، وملأه بالمشاعر السياسية الوطنية[46]،وقد جاء في تقديم المدني لكتابه قوله[47]:(فهذا أوَّل كتاب جغرافي، وُضع عن القطر الجزائري المحبوب).

وخاطب الشبان موجها رسائل سياسية عميقة، فكتب[48]:(أيها الشباب المسلم الجزائري على حُب الوطن ينشأ شبان الدنيا قاطِبَة، فهم في سبيل أوطانهم يعيشون وفداء لأوطانهم يستشهدون).

تميَّز أسلوب الكتاب – الذي جاء في 143 صفحة– بالوضوح، وبالعرض الممتاز الذي يدفع إلى القراءة والمطالعة، تضمَّن معلومات مركزة وإحصائيات، وجداول حديثة على شاكلة الكتب العصرية، وقد رسم المؤلف على صفحة الغلاف الشعار الثلاثي الشهير(الإسلام ديننا، العربية لغتنا الجزائر وطننا).

شمل الكتاب – ثلاثة أقسام– خصص الأوَّل منها للجغرافيا الطبيعية، فتحدَّث عن موقع القطر وحدوده، ووصف تضاريسه، ومناخه، وما يزخر به من إمكانات طبيعية.

أما القسم الثاني، فعالج فيه الناحية الاقتصادية، مبرزًا ثروات البلاد الفلاحية والحيوانية، والمعدنية، والطاقوية المتنوعة، مُعَرِجًا على حركة التصنيع التقليدية والعصرية وكذا النشاط التجاري، وطرق المواصلات بأنواعها .

---

[46]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830–1954، ج7، المرجع السابق، ص ص420 – 421.

[47]– أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، ص03.

[48]– نفس المكان.

واستعرض في القسم الأخير، الحالة السياسية، فقدَّم إحصائيات لعدد السكان، وأنواع الأنظمة القضائية، وحالة التعليم العام، والحر،والمهني، ووصف التقسيم الإداري
وأعطى ترجمة لمجموعة من المدن بالعمالات الثلاث[49].

والحقيقة أنَّ الكتاب لقي تنويها، وتقريظا من لدن العديد من الدَّارسين، و من ذلك ما كتبه المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي[50]:(حاز به فضل السبق، فيه دراسة مفصلة لفرع آخر من فروع العلم و المعرفة، وهو فرع حسَّاس، يتصل بأعماق مشاعر سكان المغرب بصفة عامة، وسكان المغرب الأوسط منهم بالخصوص...فلقد أفاد به النشء الجزائري بالمدرسة العربية، وحتى خارج المدرسة العربية...فلولا المدني، ما عرف قراء العربية من أبناء هذا الشعب، وضعية بلادهم جغرافيا، ولا سياسيا، ولا طبيعيا، ولا اقتصاديا).

وتقديرا لهذا الإنجاز، الذي وُصِفَ بأنه قطع من الرياض، نظم الشاعر أحمد سحنون أبياتا بعنوان:"توفيق أعطيت توفيقا" ، نشرت بجريدة البصائر، ومما جاء فيها :

(توفيق) أعطيت توفيقا و تسديدا فاكتب و جدد عهود الضاد تجديـــــــدا

منحت موهبة التاريخ فأحب بـــه أمجاد قومك إحياء و تخلـــــــيـــــــدا[51]

- 4 / <u>مسرحية حنبعل : استنهاض الهمم من على خشبة المسرح.</u>

في الحقيقة أنَّ علاقة المدني بالمسرح ترجع إلى المرحلة التي عاشها بتونس، فقد كانت له تجربة مسرحية هامة، خاصة على رأس "فرقة السعادة"، وخلال استقراره بالجزائر عاين حالة الركود الثقافية، وخاصة ما تعلق منها بالفن الرابع، لذلك أراد أن يبعثه من جديد، ويتفق الأدباء و المؤرخون على أنَّ السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، كانت حاسمة و مؤثرة في الإنتاج الأدبي الجزائري حيث عرفت انطلاقة كبيرة للحياة السياسية إلى جانب التزام أدبي واضح للعاملين في هذا الحقل،

---

[49]– أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق،(عرض الباحث).

[50]– عبد الرحمان الجيلالي،" مزية الأستاذ أحمد توفيق المدني على تاريخ شمال إفريقيا "، مجلـــة التـــاريخ، العـــدد 18 الجزائر، النصف الأول من سنة1985، ص26.

[51]– أحمد سحنون،" توفيق أعطيت توفيقا "، البصائر، العدد61، 27 ديسمبر 1948م، ص07.

فالملاحظ أنَّ المفكرين من رجال أدب وكتاب طرحوا مشكلة الشخصية الوطنية، وبذلك رفعوا الستار عن مأساة الشعب الجزائري وتناقضاتها[52]، ومن هذه الإنتاجات مسرحية حنبعل التي صدرت سنة 1950م.

وعن ظروف تأليف هذه المسرحية وأهدافها، ذكر توفيق المدني، أنَّها جاءت استفزازا للمشاعر الوطنية، ودفعا لروح المقاومة، بعد سلسلة الخيبات المتوالية، في ميدان السياسة بالشمال الإفريقي، ونكبة فلسطين، وفي هذا الإطار أورد[53](إنَّ رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس، وتلقي عليه أثناء حوارها، ما يجب أن يقال من أجل التغلب على الصعاب، واستفزاز روح المقاومة الأصيلة فيه).

فكانت مسرحية حنبعل، التي قام بتمثيلها رائد المسرح الجزائري محي الدين باشطرزي بمسرح الأوبرا بالجزائر العاصمة يوم 09 أفريل 1948م، حيث عرضت نهارًا للنساء وليلا للرجال، وتناولتها حسب المؤلف إذاعة لندن، ومُثلت بالجزائر وتونس أكثر من مائتي مرة[54].

والمسرحية عبارة عن دراما سياسية، تتكون من أربعة فصول، تدور أحداثها حول شخصية القائد القرطاجي حنبعل، وقدمت باللغة العربية الفصحى، بالرغم من أنَّ التمثيل آنذاك كان بالدَّارجة في أغلب الأحيان، إلا أنَّ التمثيل بالفصحى قد حظي بمنزلة عالية
ولذلك فقد أحرزت هذه المسرحية حسب المعاصرين نجاحًا باهرًا[55].

ولم يكن اختيار عنوان حنبعل من باب الصدفة، فهذا البطل يرمز للوحدة والتضحية في سبيل الوطن، كما أنَّ اختيار الظروف الزمانية والمكانية دليل على واقعية المؤلف حيث جاءت مسرحيته في وقت كانت الجزائر تعيش فترة هدوء ما قبل العاصفة[56].

---

[52]– فاطمة حمدي، المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية 1950 – 1954 م من خلال بعض أشكال التعابير الفنية والأدبية ، دبلوم الدراسات المعمقة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1981، ص108.

[53]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للتوزيع ،الجزائر، 1983، ص392.

[54]– المصدر نفسه، ص392.

[55]– نور الدين عمرون، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، ط1، شركة باتنيت، باتنة، الجزائر، 2006 ص126.

[56]– ز– رقية، " المسرح الجزائري "، الشعب الثقافي، العدد10، الجزائر،01 نوفمبر 1972، ص32.

وبتحليل فصول المسرحية، نجدها قد جاءت مملوءة بالوطنية، والنداء للمقاومة بمضمونها ولغتها الخطابية، وقوة أسلوبها، وإنَّ الأفكار المعروضة تدعو إلى تحطيم قيود العبودية والاستغلال، وهي أفكار ثورية، تؤثر على الجمهور، وتحرضه على الكفاح ضد المستعمر[57].

لم يلجأ مؤلفها إلى التأويل، بل حافظ على سير الأحداث التاريخية للمسرحية، فقد أعطى الأحداث بُعدًا وطنيًا، ونزعة سياسية واضحة، علاوة على أنَّ واقعيته
ومنهجيته في إيصال الرسالة للجمهور خدم المسرحية، وجعلها ناجحة، إذ تَمكن من تخليصها من الأبعاد الزمنية، وحوَّرها لتصبح وكأنها تحدث في الحاضر[58].

لقد استطاع أن يضمن المسرحية مقولات مؤثرة جدا، عقب كل فصل لإنزال الستار ومن ذلك قوله على لسان حنبعل[59](نحن قوم نعيش أحرارًا، أو نموت شرفاء، وإن طغيان روما سيمضي وسيمضي من بعده كل طغيان آخر، ولا حياة إلا للأمم الشاعرة بوجودها، المجاهدة في سبيل حريتها المحافظة على كيانها ووحدتها).

ما نخلص إليه في هذه المساهمة المتواضعة التي رامت الغوص في فكر المدني المشبع بقيم الانتماء الحضاري العربي الإسلامي، أنَّ الرجل قد امتلك رؤية عميقة لأهمية التاريخ في وضع اللبنات الأولى التي قام عليها صرح الوطنية، وأدلى بمواقف و آراء تهدد وجود فرنسا بشجاعة، في وقت كانت الرقابة الفرنسية واقفة بالمرصاد لكل جريء يخوض في قضيتي العدالة والحرية.

---

[57]– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بلا تاريخ ص 66.

[58]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983 ص211.

[59]– ميسوم بلقاسم، الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927 – 1957 من خلال مؤلفات مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني وعبد الرحمان الجيلالي، دراسة تحليلية نقدية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002، ص ص143–144.

قائمة المصادر والمراجع /

1- إبن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

2- أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس سبتمبر1998.

10 بوصفصاف عبد الكريم، وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2004.

3- حمدي، فاطمة، المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية 1950 – 1954 م من خلال بعض أشكال التعابير الفنية والأدبية ، دبلوم الدراسات المعمقة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1981، ص108.

4- البصائر، العدد61، 27 ديسمبر 1948م.

5- المدني، أحمد توفيق، حياة كفاح (مذكرات)،ج2، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر 1983.

6- المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ط2، نشر دار الكتاب، البليدة، الجزائر، 1963.

7- المدني، أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.

8- المدني، أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.

9- المدني، أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري، ط2، المطبعة العربية بالجزائر 1952.

10- المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ.

11 – المدني، أحمد توفيق، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754 – 1830، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

12 – سعد الله، أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية – المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بلا تاريخ.

13 – سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

14 – سعيدوني، ناصر الدين، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

15 – الشهاب، العدد 100، 09 جوان، 1927.

16 – الشهاب، ج7 ، م13، سبتمبر1937.

17 – صاري الجيلالي، محفوظ قدّاش، الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية 1900 – 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1987.

18 – عمرون، نور الدين، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، ط1، شركة باتنيت باتنة، الجزائر، 2006.

19 – قنانش، محمد، المواقف السياسية بين الإصلاح و الوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ.

20 – مجلة التاريخ، العدد 18 الجزائر، النصف الأول من سنة1985.

21 – مرّاد، علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940م، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

22 – مرتاض، عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 النهضة الفكرية – النهضة الصحفية و الأدبية – النهضة التاريخية ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

23 – مرتاض، عبد المالك، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983.

24 – ميسوم، بلقاسم، الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927 – 1957 من خلال مؤلفات مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني وعبد الرحمان الجيلالي، دراسة تحليلية نقدية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2002.

بيان السيرة الذاتية لصاحب المقال

الاسم / **عبد القـــادر**

اللقب / **خليـــفـــي**

تاريخ ومكان الميلاد / 11 جويلية 1970 ببلدية أولاد عدي القبالة ولاية المسيلة

العنوان الالكتروني / **khelifi16@yahoo.fr**

رقم الهاتف / 0774651519

العنوان العائلي / حي 40 مسكن بلدية أولاد عدي القبالة ولاية المسيلة 28120.

المؤهلات العلمية / - بكالوريا آداب 1990م ثانوية برهوم ولاية المسيلة.

- ليسانس تاريخ 1994م جامعة قسنطينة.

- دبلوم التكوين المتخصص لضباط الشرطة 2002م المدرسة التطبيقية للأمن الوطني بالصومعة ولاية البليدة.

- ماجستير تاريخ حديث ومعاصر 2008م جامعة منتوري قسنطينة.

- مسجل بالسنة الرابعة دكتوراه العلوم بجامعة منتوري قسنطينة.

المسار المهني / - أستاذ تعليم ثانوي مرسم 1995-2001م.

- إطار بالأمن الوطني 2001-2009م.

- أستاذ مساعد بقسم التاريخ بجامعة المسيلة فيفري 2009م- يومنا هذا.

النشاطات العلمية / - عضو فرقة بحث CNEPRU / الحركة المصالية بين الثورة والثورة المضادة 1946-1962م.

- عضو فرقة بحث PNR / الحركة الفكرية في الجزائر وتواصلها مع المشرق العربي 1900- 1939م.

المجالات الرئيسية لاهتمامات الباحث / - تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية.

- تاريخ الثورة التحريرية 1954-1962م.

- تاريخ المغرب العربي الحديث.

تعهــد البـاحـــــث

أنا الممضي أسفله الأستاذ / **عبد القادر خليفي** المقيم بحي 40 مسكن ببلدية أولاد عدي لقبالة ولاية المسيلة التابع لقسم التاريخ بجامعة المسيلة.

أتعهد بشرفي بأن المقال المعنون بـــ: الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية: دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931–1950م.

إن البحث الذي أرسلته لمجلتكم **أبحاث ودراسات** بجامعة زيان عاشور بالجلفة قصد النشر هو من إعدادي.

إن هذا البحث لم يسبق لي نشره وليس مقدما للنشر في جهة أخرى.

إنني ألتزم إذا ثبت للمجلة عكس ذلك بتحمل المسؤولية كاملة لما يترتب عن ذلك.

توقيع المعني